مؤسسات تراثية:

مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

المؤسس والمؤسسة

أ. د. عبد الستار الحلوجى*

كثيرون فى الوطن العربى أنعم الله عليهم بثراء عريض ، وقليلون منهم جعلوا من هذا الثراء نصيبًا لأعمال الخير ، وأقلّ منهم مَنْ وجّهوا بعض أموالهم لمشروعات ثقافية تثرى عقل الأمة ووجدانها ، أو تتتبع تراثها فى مشارق الأرض ومغاربها ؛ ترصده وتعرِّف به ، أو تجمعه وتحافظ عليه ، وتيسر للباحثين سبل الحصول عليه والإفادة منه .

والذين يوجِّهون حظًا من أموالهم لأعمال الخير والبرّ ، أو لنشر العلم والوعى الدينى وإتاحتهما لغير القادرين ، أو لجمع تراث الأمة والحفاظ عليه والتعريف به باعتباره زادها المعرفى ومرجعيتها الثقافية ، وعنصرًا من أهم العناصر التى تصوغ فكرها ، وتشكِّل وجدانها وتجمع شعوبها على كلمةٍ سواء ، الذين يفعلون ذلك لايعلنون عن أنفسهم ؛ لأنهم لو كانوا من هواة الإعلام لسلكوا سبلا أخرى تتيح لهم أن يكونوا ملء السمع والبصر ، ولكنهم يعملون فى صمت ووقار ، لايعنيهم أن يطلع الناس على أعمالهم ، أو أن تتحدث عنها وتمجّدها أبواق الإعلام وما أكثرها وما أشدّ تأثيرها فى هذه الأيام ؛ لأنهم يعرفون أن الله الذى قصدوه بهذه الأعمال مطلع عليهم ، وهذا حسبهم .

وإذا كانت وسائل الإعلام المسموع والمرئى ـ بفعلها الساحر ـ قادرة على أن تجعل من الأقزام عمالقة ، ومن العبيد سادة ، فينبغى ألا نترك الحقائق والقيم تضيع وسط الجلبة الإعلامية الطاغية ، وينبغى أن ينطلق صوت الحق مهما يكن خافتاً ؛ ليذكِّر الناس بالمثُل العليا والقيم النبيلة ، ويعرفهم بالنماذج المشرِّفة من أبناء الأمة ؛ ليتمثلوا بها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، وليعلموا أن الدنيا مازالت بخير ، وأنه فى وسط الظلام الحالك يبزغ قبس من النور هنا أو هناك ، فتهتدى به خطى الحائرين .

تلك مقدمة أراها ضرورية بين يدى الحديث عن مؤسسة خيرية أنشأها صاحبها فى دبى ؛ لنشر العلم والثقافة بين أبناء وطنه ، ثم اتسع نشاطها ليشمل أبناء الأمة الإسلامية كلها .

---

* أستاذ المكتبات بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة .

أما المؤسس فهو رجل الأعمال الفذّ السيد جمعة الماجد ، الذى ولد فى عام ١٩٣٠ بمنطقة الشندغة من أعمال مدينة دبى ، وتلقى تعليمه الأولى فى الكتاتيب ، ثم اتجه إلى التجارة ، فوفق فيها توفيقا شديدًا ، وأسهم بدور بارز فى دفع مسيرة التنمية الاقتصادية فى وطنه من خلال تأسيسه عدة شركات ناجحة ، ومساهمته فى إنشاء البنوك الوطنية ، ورئاسته لمجلس الشئون الاقتصادية فى دبى .

ورغم أن رحلته كرجل أعمال شريف ناجح تحتاج إلى تسجيل وتقدير معًا ، إلا أن الذى يعنينا هنا هو دوره البارز ، وأكاد أقول : المتفرد فى مجال العلم والثقافة وخدمة التراث العربى والإسلامى . فكثير من رجال الأعمال شرفاء وناجحون ، ولكنهم فى الغالب الأعم يستثمرون نجاحاتهم فى توسيع نطاق أعمالهم ، وزيادة حجم ثرواتهم . وذلك حقهم الذى لا ينكره عليهم أحد .

أما صاحبنا فقد كان قلبه متعلقًا بالعلم ، وكان فكره مشغولا بالثقافة ، وكانت عينه على الطبقات المعسرة من المجتمع ، وكانت متعته فى مساعدة تلك الطبقات وتقديم ما يعينها على مواجهة أعباء الحياة ، وإتاحة فرص التعليم لأبنائها ؛ حتى لا يكون ضيق ذات اليد سببًا فى حرمانهم من التعليم ، فنراه منذ صدر شبابه يشارك فى تأسيس أول جمعية خيرية لمساعدة المحتاجين ، ويسعى مع زملاء له فى إنشاء أول مدرستين ثانويتين فى دبي ؛ إحداهما للبنين والأخرى للبنات . وعندما حالت الظروف الاقتصادية والاجتماعية دون قبول أبناء الوافدين من الدول العربية والإسلامية فى المدارس الرسمية بدبى ـ أنشأ فى عام ١٩٨٣ مدارس أهلية مجانية وشبه مجانية لتعليم غير القادرين . وإدراكًا منه لأهمية دور المرأة فى المجتمع ، وحرصًا منه على إتاحة فرص التعليم للبنات فى وطنه ، وانطلاقًا من شعوره بصعوبة وصول الفتيات من مختلف مناطق دولة الإمارات إلى الجامعة الحكومية فى مدينة «العين» ، وتعذر سفرهن إلى الخارج لتلقى العلم ، أنشأ فى عام ١٩٨٧ كلية للدراسات العربية والإسلامية يدرس بها الطالبات فى الفترة الصباحية ، ويلتحق بها الطلاب فى الفترة المسائية ، ووفر لها كافة الوسائل لنقل الطالبات من ديارهن مهما تباعدت . وفى عام ١٩٩٠ أسيس «جمعية بيت الخير» لتقديم المساعدات المالية والعينية للمحتاجين والفقراء من الطلاب ، والمتضررين من الكوارث والنكبات . وبعد ذلك بعام واحد أنشأ مكتبة للعلوم الإسلامية والعربية ، تطورت فيما بعد لتصبح «مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث» .

وتقديرًا لهذه الجهود الخيِّرة استحق الرجل عددا من الجوائز المحلية والعالمية التى

نالها بجدارة ، نذكر منها جائزة سلطان العويس عام ١٩٩٢ ، وجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٩٩ .

تلك نبذة سريعة عن المؤسس العظيم الذى لايحب الثناء ولاينتظره من أحد من البشر ، وإنما ينتظر الجزاء من خالق البشر الذى يعلم خائنه الأعين وماتخفى الصدور ، والذى لايضيع أجر المحسنين . أما المؤسسة بأجنحتها الأربعة (المركز والمدارس والكلية وبيت الخير) فتحتاج إلى وقفة متأنية .

فالبدايات الأولى للمركز ترجع إلى عام ١٩٨٨ ، عندما شرع مؤسسه فى اقتناء مصادر المعلومات وحفظها وفهرستها وتصنيفها ؛ تمهيدًا لإتاحتها للباحثين . وبعد ذلك بأربع سنوات بدأ المركز فى عام ١٩٩٢ فى تقديم خدماته للباحثين وطلاب الجامعات .

وتتلخص رسالة المركز فى جمع التراث العربى والإسلامى مطبوعًا ومخطوطًا ، سواء أكانت تلك المخطوطات أصلية أو مصورة ، وفى إجراء البحوث والدراسات التى تخدم الثقافة العربية والإسلامية ، ونشر المؤلفات العلمية ، والتعاون مع الهيئات الثقافية داخل الدولة وخارجها ، وإقامة المعارض ، وتنظيم الندوات والملتقيات العلمية والدورات التدريبية ، حتى لقد بلغ عدد اتفاقيات التعاون أكثر من ستين اتفاقية ، عقدها المركز مع مؤسسات ومراكز ثقافية عربية فى دبى والقاهرة ودمشق وتونس والرباط والكويت وصنعاء ، ومع دول إسلامية مثل : تركيا وإيران وأوزبكستان وطاجكستان ، ودول غربية وشرقية مثل : المملكة المتحدة وروسيا [١] . وبلغت المطبوعات التى أصدرها أكثر من ستين مطبوعاً مابين كتب مؤلفة ومحققه ودوريات وببليوجرافيات [٢] .

وبالمركز قسم للتراث الوطنى ، مهمته جمع وفهرسة وتكشيف كل ماله علاقة بتراث دولة الإمارات العربية ومنطقة الخليج العربى من كتب ودوريات ووثائق وخرائط ، وحفظها وترجمتها ودراستها وإتاحتها للباحثين . ويركز القسم على الوثائق البريطانية والأمريكية والعثمانية والروسية غير المنشورة ، باعتبارها مصدرًا لكثير من المعلومات السياسية والاقتصادية والعسكرية الهامة عن تاريخ دولة الإمارات العربية ومنطقة الخليج بعامة ، وإمارة دبى بصفة خاصة [٣] .

---

(١) مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث : النشأة والمسيرة . دبى ، ٢٠٠٢ ، ص ٤ - ١٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤ - ١٦ . ويصدر المركز دوريتين إحداهما فصلية وهى «آفاق الثقافة والتراث» ، والأخرى «أخبار المركز» وتصدر كل شهرين .

(٣) أخبار المركز ، السنة الأولى ، العدد الثانى ، أبريل ٢٠٠٣ ، ص ٢٤ - ٢٦ .

كما يضم المركز مكتبة بها أكثر من ثلاثمائة وعشرين ألف مادة ؛ مابين كتاب مطبوع ودورية ورسالة جامعية ، فى شتى فروع المعرفة البشرية ، معظمها باللغة العربية ، وبعضها بالإنجليزية أو الفارسية ، وقليل منها بالفرنسية أو الألمانية أو الروسية [١] . ومن بين تلك المقتنيات أكثر من خمسين مكتبة خاصة آلت إليه بطريق الشراء أو الوقف أو الإهداء ، منها ـ على سبيل المثال ـ مكتبات الشيخ سيد صقر ، والشيخ عبد الغنى عبدالخالق ، والدكتور شكرى فيصل [٢] . وقد احتفظت تلك المكتبات بشخصيتها الاعتبارية ، وبأسماء أصحابها تكريمًا لهم ، واعترافًا بفضلهم ، وتخليدًا لدورهم فى خدمة الثقافة العربية وإثراء الفكر العربى فى العصر الحديث .

ولعل أهم أقسام المركز قسم المخطوطات الذى يعنى باقتناء المخطوطات وصيانتها وترميمها وتجليدها وفهرستها ، والذى استطاع أن يحصل على عدد كبير من المخطوطات المصورة من أكثر من عشرين مكتبة من مكتبات الشرق والغرب . وهو لايكتفى بتوفير مقتنياته للباحثين ، وإنما يسمح بتصويرها لهم ، بل إنه ينوب عنهم فى مراسلة المكتبات العالمية ؛ للحصول على ما يحتاجونه من مخطوطات مصورة [٣] .

وخلال زياراته للمكتبات العالمية ، واطلاعه على أحوال المخطوطات ونوادر المطبوعات العربية بها ، أدرك جمعة الماجد حجم ما أصاب هذا التراث من تلف ودمار ، وفكّر فيما يمكن أن يفعله لصيانة ما بقى منه والحفاظ عليه للأجيال القادمة ، فاستقدم متخصصين فى أعمال الصيانة والتعقيم والترميم ، ووفر لهم إمكانية الاطلاع على جهود الغربيين فى هذا المجال ، وأتاح لهم فرص البحث والابتكار والإبداع ، فتمخضت جهودهم عن تطوير وتصنيع أربعة أجهزة ؛ أولها للتدعيم الحرارى ، ووظيفته تقوية نسيج الورق التالف بإضافة شرائح مصنوعة من ألياف طبيعية وصناعية على وجهى الورقة باستخدام الضغط والحرارة ، وثانيها لتعقيم الكتب والمخطوطات والقضاء على الكائنات الحية الدقيقة الضارة بكافة أشكالها ؛ من حشرات وفطريات وبكتريا ، وثالثها للمعالجات الأولية ، ويقصد بها تخليص الأوراق والرقوق من العوالق الضارة بها كالأتربة ، ومعالجة جفافها ، ورابعها للترميم الآلى ، وهو أهمها جميعا ، وقد بدأ العمل فيه منذ عام ١٩٩٦ ، واعتمدته منظمة

---

(١) منها حوالى ٢٧٥٠٠٠ باللغة العربية ، و ٢٥٠٠٠ بالإنجليزية ، و ١٥٠٠٠ بالفارسية .

(٢) أخبار المركز ، السنة الأولى ، العدد الثالث ، يونيو ٢٠٠٣ ، ص ٢١ ـ ٢٢ ؛ مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث . . . ، ص٢٠ .

(٣) أخبار المركز ، السنة الأولى ، العدد الأول ، فبراير ٢٠٠٣ ، ص١٢ .

الإيسيسكو فى عمليات ترميم المخطوطات ، ووضعته ضمن برامجها ووسائلها لحفظ التراث وصيانته ، وذلك بإهدائه للدول التى تحتاج مخطوطاتها إلى صيانة وترميم .

وقد قام المركز مشكورا بإهداء الجهاز وكل مستلزماته من ألياف سليولوزية نقية إلى أكثر من عشرين من المكتبات والمراكز العربية والإسلامية ؛ فى فلسطين واليمن والسودان وسوريا والسعودية والكويت وليبيا والجزائر وإيران وكازاخستان وجيبوتى والنيجر ، ولم يكتف بذلك وإنما قدم معه الخامات اللازمة لتشغيله ، والتدريب اللازم للمتعاملين معه [١] .

فإذا تركنا الجانب الثقافى والتراثى الذى يمثله المركز بمختلف أقسامه ، وانتقلنا إلى الجانب التعليمى المتمثل فى المدارس الأهلية الخيرية ، وكلية الدراسات الإسلامية والعربية التى أنشأها جمعة الماجد ، وجدناه لايقل إشراقا وتألقا عن سابقه . فقد أسس الرجل فى دبي وعجمان مدارس أهلية للبنين والبنات بمختلف مراحل التعليم ، وأنشأ فى الشارقة مدارس للتعليم الأساسى للبنات .

وهذه المدارس تعمل فترتين ؛ إحداهما صباحية والأخرى مسائية ، وتقدم التعليم مجاناً لغير القادرين ، وبأجر رمزى لذوى الدخل المحدود . وقد بلغ عدد من التحق بها من الجنسين فى الإمارات الثلاث قرابة سبعة آلاف ، منهم ٢٧٦٢ من البنين و ٢٤٦٩ من البنات فى دبى ، و ٧١٥ من البنين و ٦٥٨ من البنات فى عجمان ، و ٣٧٢ طالبة فى الشارقة . ومجموع ما خرَّجته تلك المدارس فى الفترة من ١٩٩٠ / ١٩٩١ حتى ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ بلغ ١٥٤٥ طالبا و ١٤٢٥ طالبة [٢] .

ولكى تكتمل المنظومة التعليمية التى أسسها ورعاها الماجد ، أنشأ كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي ، وهى كلية خيرية وقفية أنشئت سنة ١٩٨٦ / ١٩٨٧ ؛ لتخريج الدعاة والفقهاء والخطباء والمدرسين وأعضاء هيئة التدريس بالجامعات والمعاهد العليا ، وقد بدأت بثمانين طالبًا فى العام الأول لإنشائها ، ثم فتح الباب لقبول الطالبات فى العام التالى ، فقُبل منهن ثلاث وثمانون طالبة . وبلغ عدد طلابها فى العام الدراسى الحالى ٩١٠ طالبا و ٢٢٠٦ طالبة .

أما أعضاء هيئة التدريس فقد بدأت الكلية بستة منهم عند افتتاحها ، وظلوا يتزايدون

---

(١) أخبار المركز ، السنة الأولى ، العدد الثالث ، يونيو ٢٠٠٣ ، ص٢٠ .
(٢) المدارس الأهلية الخيرية فى العام الدراسى ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ ، ص ٣ - ٤ .

حتى بلغوا ستين غير المنتدبين .

ومدة الدراسة بالكلية أربع سنوات كانت تسبقها سنة تأهيلية ألغيت فى عام ١٩٩٦ ، وكانت الدراسة فيها مقصورة على تخصص واحد هو الدراسات الإسلامية ، ثم أنشئ قسم للدراسات العربية للطالبات فى عام ١٩٩٥ ، وبدأ قبول الطلاب به منذ ثلاث سنوات .

وقد تخرج فى هذه الكلية حتى العام الدراسى الحالى (٢٠٠٣ / ٢٠٠٤) ٥٣٦ طالبا و١٨١٦ طالبة من قسم الدراسات الإسلامية ، و ٦٧٠ طالبة من قسم الدراسات العربية .

وإلى جانب درجة الليسانس (أو الإجازة) التى تمنحها الكلية فى الشريعة الإسلامية (الفقه وأصوله) أو فى اللغة العربية ، أنشئ قسم للدراسات العليا فى تخصص الشريعة الإسلامية للطالبات سنة ١٩٩٥ ، وبدأ بدبلوم فى الفقه الإسلامى مدته سنتان ، يليه إعداد رسالة ماجستير فى مدة لاتقل عن سنة ولاتزيد على ثلاث سنوات . ومنذ عام ١٩٩٩ حتى الآن حصلت اثنتا عشرة طالبة على درجة الماجستير . وفى العام الماضى (٢٠٠٢ / ٢٠٠٣) بدأت الكلية برنامج الماجستير فى اللغة العربية للطالبات ـ أيضًا ـ بسنة تمهيدية فى مجالين ؛ هما : الأدب والنقد ، أو اللغة والنحو[١] .

وهكذا نرى أن تلك الكلية قد أتاحت للمرأة فى دبى والخليج العربى فرصة التعليم العالى والدراسات العليا ، بعد أن كانت محرومة منها لأسباب اجتماعية أحيانًا ، واقتصادية أحيانا أخرى .

وإذا كان المركز والمدارس والكلية بمثابة أجنحة ثلاثة لمؤسسة الماجد ، تمثل وجهها الثقافى والتربوى ، فقد كان لها جناح رابع يمثل وجهها الإنسانى فى أجلى صوره وأرفع درجاته ، ونعنى به جمعية «بيت الخير» التى أسسها الماجد فى عام ١٩٩٠ ؛ ليتوَّج بها جهوده الخيِّرة ، وليثبت أن له من اسمه نصيبا ، ونصيبا كبيرا .

---

(١) كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبى : النشأة والتكوين والأهداف والتطور ، ص ١ ـ ٢ .